العقيـــدة

العقيـدة الدينيـة

أطلق اسم الرب God، الله، الإله، خالق الكون على أقصى قوة عظمى مطلقة فى الكون. تقوم الأديان على عبادة الإله، وتكرس له الحب، والطاعة، والتقوى، والورع، والصلاة، والإجلال، والتعظيم، والإيمان بقدرته على فعل كل شىء وأى شىء. الإله هو من يميل إليه الإنسان، ويعتمد عليه المؤمن، إنه إيمان صادر من الذات الداخلية / العاطفية أكثر من الإيمان التحليلى المرتبط بالتجارب والبراهين العلمية والمعملية. الإيمان الحق هو عقيدة راسخة فى مكنون الذات البشرية، وثقة مطلقة - فى من نؤمن به - بدون شك أو ارتياب، وإخلاص تام نابع من نية صافية ومجردة من أية شوائب أو انتظار منفعة أو خوف من عقاب. يرجع إلى الذات الإلهية، القوة المطلقة التى خلقت الكون، والطاقة اللانهائية التى تُسَيره.

بدأت فكرة الإله من المنظور الفلسفى - قبل نزول الأديان السماوية - عندما واجه الإنسان الأول ظواهر طبيعية لم يجد لها تعليلا أو سببا من منطلق العقل البدائى الخالى من التجارب والخبرات المتطورة. قام الإنسان بتكوين صورة عن إله غير محدد، له رهبة، غامض، لا يمكن معرفة شىء عن أصل وجوده، أو ما يقدره للكون وللإنسان. نبعت من الفكرة الأصل، صورة أخرى لإله يمكن أن يخيف البشر ويدمرهم بالمرض والموت والظواهر الطبيعية مثل الرعد والبرق والزلازل. من هذا المنطلق نبعت فكرة إله الشر المقابل لإله الخير الذى يشفى المريض ويداوى الجروح وينقذ البشر من الكوارث التى تحل بهم. كان تصور إنسان الحضارات الأولى بأن إذا تواجد إله الشر مع إله الخير، فلا بد أن يتصارع الإلهين، كما أنه من الممكن أن يتواجد آلهة كثيرة، يعنى كل إله بموضوع من المواضيع الخاصة بالحياة البسيطة التى يحيا بها ومن خلالها الإنسان، مثل إله الإخصاب، وإله الحصاد، وإله الصيد... إلخ، ثم تطورت صور الآلهة فتخيل الإنسان إلهًا للحكمة، وإلهًا للجمال، وإلهًا للحرب...، .... إلى آخره من الصور المتعددة للآلهة.

فى قديم الزمان، كانت المجتمعات روحانية الطابع Animistic، أى تعتقد فى أن كل ما فى الكون - وحتى الكون ذاته - له روحًا أو نفسًا، وأن الروح أو النفس هى المبدأ الحيوى المنظم للكون، فالكون مسكون بأعداد لا تحصى من الأرواح، الخيرة منها والشريرة، العطوفة على البشر أو التى تتربص بهم لتنال منهم شرًا وانتقامًا. لقد تعود الإنسان - فى مخيلته ومن منظوره القديم - أن يتعايش مع هذه الأرواح، إما بطريقته الشخصية أو عن طريق السحرة الذين استغلوا سذاجة الكثير من البشر لتقديم القرابين إلى الأرواح الشريرة منعًا لشرهم، أو للأرواح الخيرة انتظارًا لخيرهم. ومن السحرة والكهان انبعثت فكرة الدين فى الحضارات القديمة. لقد تعددت الأرواح والآلهة فى المجتمعات والثقافات القديمة، ولكن أيضًا راود فكر الكثير من البشر فى العصور القديمة وجود إله واحد قوى، أعلى من الآلهة الأخرى ومتفوق عليهم Superior God.

بدأت فكرة التوحيد والإيمان بإله واحد Monotheism حتى قبل نزول الأديان السماوية. وفى مسار التوحيد يوجد أربعة مناهج أو طرق مختلفة هى:

* التأملية / التفكيرية Speculative
* السلطوية Imperialistic
* الروحية / الصوفية Mystical
* الأخلاقية Ethical

فى المنهج التأملى / التفكيرى، يبذل الإنسان أقصى جهده وعصارة فكره لاكتشاف كينونته ومرتبته بالنسبة للآخرين من خلال حصيلة التجارب التى يمر بها، وشخصيته التى تكونت وتبلورت. فالإنسان يجب أن يعيش العالم الواعى الملىء بالأشرار أو الأخيار، ومن الاحتكاك بشتى أنواع البشر، ومن سلوكه تجاه مخلوقات مختلفة تتحدد مرتبة الإنسان ودرجة إيمانه. أما

فى المسار السلطوى، فالعقيدة تأتى من الإيمان بوجوب فرض عقوبات صادرة من الرب، أو من قوى علوية خارقة للطبيعة Supernatural على أعداء الدين والمختلفين فى العقيدة. ينبع المنهج الصوفى من تجربة الإنسان الفردية - التى تعترى فئة قليلة من البشر - والتى فيها يشعر الإنسان الوفى بنشوة روحية Ecstasy، ورضا وراحة نفسية، وسعادة داخلية، منبثقة من محاولة الاندماج مع الذات الإلهية بغية الوصول إلى الحقيقة القصوى أو الحقيقة المجردة. تنتشر الصوفية فى جميع الأديان السماوية وغير السماوية، وفى جميع الثقافات الإنسانية المختلفة. ينشأ المنهج الأخلاقى من تعرض الإنسان لتجارب شخصية قاسية، يأمل فيها وجود قيم أخلاقية مثل: المساواة، والعدل، والخير، والإنصاف، والمحبة، . . . إلى آخره، حتى يستطيع الإنسان التغلب على المشاكل التى تصادفه أثناء مسيرته الحياتية. إن الإنسان عادة ما يتجه إلى الدين عندما يتعرض للمخاطر أو للظلم، ثم ينسى ربه بعد ما يزول الكرب وينقشع الغم، ويتجاوز النسيان إلى الافتراء والطغيان عندما يتملك ويتحكم.

الديـــن Religion

عرفت الموسوعة الأمريكية Encyclopedia Americana الدين بأنه: (شكل أو نموذج من الإيمان والممارسة، من خلاله يعيش المرء التجربة، أو يأمل فى خوض تجربة خارج نطاق تجارب العالم المادى التقليدى). الدين هو من الأمور النموذجية التى يركز فيها الإنسان فى المطلق / المجرد، من خلال الإيمان الكامل بالإله، وعبادته وطاعته. يتجلى الدين فى عدد من العقائد، والتى يمكن تصنيفها إلى عقائد تؤمن بالتوحيد Monotheism أى الإيمان بإله واحد، وعقائد تؤمن بتعدد الآلهة. من عقائد التوحيد الأديان السماوية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام. بجانب الأديان السماوية، يوجد الكثير من العقائد الدينية التى نبعت من الهند والصين وبلاد الشرق الأقصى عامة مثل: البوذية، والهندوسية، والكنفوشسية، والشانتوية، والسيخ وغيرها من

الأديان غير السماوية الأخرى والذى سيجىء ذكرها لاحقًا. بالإضافة إلى ذلك يوجد الكثير أيضًا من الديانات الفطرية/البدائية التى تنتشر فى جزر المحيط الباسيفيكى، وفى استراليا، وفى بعض البلاد الإفريقية. فى العصور الحديثة لم تظهر أديان غير سماوية جديدة ولكن اندثر الكثير من الأديان غير السماوية التى كانت منتشرة فى الحضارات القديمة فى الشرق الأوسط والأدنى، وفى أوروبا، وفى القارة الأمريكية قبل اكتشافها.

انتهى عصر الشك والإلحاد فى الحضارة الغربية، وتشكل منظور جديد للدين، كتب أوليفر ليمان فى كتاب "مستقبل الفلسفة فى القرن الواحد والعشرين" عن المنظور الفلسفى الحديث للدين: (ظهر منهج آخر لفلسفة الدين فى القرن العشرين، وهو التأكيد على الجوانب العقلانية من الدين. فالدين شكل من أشكال الحياة، ونهج للسلوك، وإنه من الخطأ أن نراه مرتبطًا بقائمة معينة من الفرضيات. هذه هى الطريقة التى يميل الفلاسفة إلى أن يروه بها، حيث إن الفلاسفة يفضلون أن يجزئوا الأشياء أو يقسموها وفقًا لفرضياتهم الأساسية، لكن الاعتقاد الدينى هو مسألة التزام بطريقة للحياة، وليس سلسلة من المعتقدات المحددة... وإحدى مزايا وجهة النظر التى تأخذ بالاعتقاد أو الإيمان الدينى على أنه يتعلق بالسلوك أكثر من تعلقه بالاعتقاد، هى أنها تجنب المرء هذه الأنواع من المشكلات. فالدين إذًا هو مسألة سلوكنا بطريقة معينة ووجود قواعد محددة وطرق لنسلكها تلائم هذا النمط من النشاط الإنسانى. والدين هو فى الحقيقة مصطلح يمكن الاستعاضة عنه أو استبدال عدد من الأفكار الأخرى به، وهى الأفكار المتعلقة بالكيفية التى نرى بها الحياة).

التصـوف Mysticism

التصـوف مذهـب يدعـو للتأمـل والتبصـر الـروحى، والدخول فى تجربة الالتحام التام والتوحد Oneness، والبحـث عن الحقيقـة المطلقـة

Absolute Reality وانسجام الذات مع الكل، والتناسق بين الذات وجميع عناصر الكون للوصول إلى مرحلة اتحاد الكل فى واحد. يمكن الوصول إلى هذا الهدف من خلال تجربتين صوفيتين مختلفتين: الأولى هى إخراج كل الانتباه الوجدانى والشوق الصوفى من الذات الداخلية وهو ما يسمى بالتصوف الانبساطى Extrovertive Mysticism، والثانية تركز كل الانتباه الوجدانى نحو الداخل وهو ما يسمى بالتصوف الانطواى Introvertive Mysticism. والتصوف الانبساطى يعنى اعتبار مضمون الأشياء المادية كلها كواحد، وينفذ الصوفى بجميع وجدانه فى هذا "الواحد" ويتفاعل معه ويستبصر ماهيته، أو كما قال الصوفى الألمانى جاكوب بوما فى القرن السادس عشر: (من هذا الضوء النابع من داخلى، رأت روحى كل الأشياء، وأدركت وجود الله فى العشب والنبات). برز التصوف الانطوائى - فى جميع الثقافات - مع ظهور الأديان، بدخول الإنسان المتصوف فى تجربة التصوف من خلال النزول إلى أعماق العقل وذلك للوصول إلى الجذور العميقة أو المنبع. فى هذه الحالة، على الصوفى أن يكبت جميع الأحاسيس، والتخيل، والافكار، والرغبات، والإرادة، والشعور المادى، فقط يترك لنفسه الرضا، والقناعة، وراحة البال، والاطمئنان والسلام الداخلى، والشعور بعدم الحاجة إلى أى رغبة حسية أو مادية. بوصول الإنسان إلى هذه الحالة من أقصى درجات الصوفية، يكون قد تحرر من كل شىء عدا التوحد مع النفس، والذاتية الخالصة، ليصبح مع جميع مكونات الكون: واحدًا ليس له ثانٍ.

يختلف مضمون التوحد الصوفى مع الذات العليا باختلاف الديانة، ففى الديانة الإسلامية يكون التوحد مع "الله الخالق سبحانه وتعالى - الواحد الأحد"، وفى الديانة المسيحية يتّوحد الصوفى مع "السيد المسيح بكونه الأب والابن والروح القدس" ، وفى البوذية يأخذ التوحد صورة وميض النيرفانا أى السمو بالنفس خارج الواقع المادى، أما فى الهندوسية فهو الاتحاد مع البراهما. إن الصوفية تمارس فى كل دين، داخل إطار وتعاليم الدين،

والعقائد التى تفسر هذا الدين. يمكن للصوفية - إلى حد ما - أن تتماشى وتتواكب مع النظام الغيبى أى ما وراء الطبيعة Metaphysics، فبعض النظم الفلسفية الحديثة - خاصة فى الغرب - مثل بعض من الاتجاهات الفلسفية لهيجل، وشيلنج، وشوبنهاور، وبرادلى تسمى بالفلسفة الصوفية، والتى تحاول الوصول إلى الحقيقة الحقة، والحقيقة المجردة، والحقيقة المطلقة.

كتب ول ديورانت فى موسوعته "قصة الحضارة" عن التصوف فى الإسلام: (يرجع التصوف الإسلامى إلى أصول كثيرة: منها نزعة الزهد عند فقراء الهندوس، وغنطوسية مصر، والشام، وبحوث الأفلاطونية الجديدة عند اليونان المتأخرين، وتأثير الرهبان المسيحيين الزاهدين المنتشرين فى جميع بلاد المسلمين. وقد وجدت فى العالم الإسلامى، كما وجدت فى العالم المسيحى، أقلية تقية تعارض فى تكييف الدين حسب وسائل العالم الاقتصادى ومصالحه، فكانوا ينددون بترف الخلفاء، والوزراء، والتجار، ويدعون المسلمين أن يعودوا إلى بساطة أبى بكر وعمر بن الخطاب. وكانوا يرفضون فكرة وجود وسيط أيا كان بينهم وبين الله، وحتى فروض الصلاة الصارمة نفسها كانت تبدو لهم عقبة تحول بينهم وبين تلك المرتبة التى تسمو فيها الروح بعد أن تتطهر من جميع مشاغلها الدنيوية حتى تشاهد ذات الله العليا، فإذا سمت فوق هذه المرتبة استطاعت أن تتحد مع ذات الله نفسها... وكلمة الصوفى التى تطلق على معظم الزهاد المسلمين مشتقة من ثياب الصوف البسيطة التى كانوا يرتدونها... ويقول ابن رشد إن الصوفيين يعتقدون أن معرفة الله مستقرة فى قلوبنا، بعد أن نتخلى عن جميع الشهوات الجسمية والانقطاع إلى الله، فقالوا: إن كل ما نراه فى العالم من كمال وجمال سببه حلول الله فيه. ويقول أحد الصوفية إنه لا يسمع صوت الحيوان، أو حفيف أوراق الشجر، أو خرير الماء، أو تغريد الطيور، أو هبوب الرياح، إلا أنه أحس أنها كلها شواهد على وحدانيته وأنه سبحانه لا شبيه له. والحق أن الصوفى يعتقد أن هذه الأشياء المتفرقة إنما توجد بما فيها من القوة الإلهية،

وأنها إنما وجدت لما هو كامن فيها من روح الله. وعلى هذا فالله هو كل شيء، وهم لهذا لا يكتفون بالقول بأنه لا إله إلا الله، بل يضيفون إلى هذا أنه لا موجود بحق سواه. وعلى هذا فكل نفس هى الله، والصوفى الكامل يجهر فى غير مواربة بأنه هو نفس الذات الإلهية... ويعتقد الصوفى كما يعتقد الهندوسى أن نظامًا صارمًا من التطهير لا بد منه لكى ينكشف عنه الغطاء ويرقى إلى عالم الفيض والإلهام. والتطهير يكون بضروب من التفانى فى الطاعات، والتأمل والنظر والتدبر، والصلاة، وإطاعة المريد لأستاذه الصوفى أو معلمه، والتجرد الكامل من جميع الشهوات البدنية، بما فيها التجرد من شهوة النجاة، والاتحاد الصوفى مع الله. والصوفى الكامل يحب الله لذاته لا رغبة فى ثواب ولا خوفًا من عقاب).

الإلحـاد Atheism

يعنى الإلحاد فكرة إنكار وجود الرب / الإله / الخالق. والكلمة فى اللغة الإنجليزية مشتقة من الكلمة اليونانية Theos بمعنى "الرب"، وحرف"a" الذى تبدأ به الكلمة للنفى. يسلك المذهب الإلحادى ثلاثة فروع كما ورد فى الموسوعة الأمريكية Encyclopedia Americana.

* إنكار وجود قوة يمكن أن نطلق عليها كلمة الرب، أى عدم وجود قوة لها القدرة المطلقة، والتبجيل والوقار والمهابة Revernce، والتى يمكن أن تضفى على المعنى الذى تعنيه كلمة "الرب God".
* الإلحاد هو كلمة تطلق على الاقتناع والإيمان الراسخ برفض المعتقدات السائدة فى ثقافة ما عن الدين وعن "الرب".
* يمكن أن تطلق الكلمة على تجاهل وجود الآلهة بصفة عامة.

لم يتشكل معنى الإلحاد فى الحضارات القديمة قبل نزول الأديان السماوية لعدم وضوح صورة مشكلة ومنزلة عن الرب الإله الخالق والقادر على

كل شيء. بالرغم من ذلك وجد من ينكر وجود الإله المحلى فى صورته التى تشكلت فى الديانات القديمة مثل الديانات الفرعونية، وديانات بلاد بين النهرين، والديانات الفارسية والإغريقية والهندوسية، . . . . إلى آخره من الديانات العديدة التى سادت الشرق الأوسط والأدنى وجنوب أوروبا، قبل نزول الأديان السماوية. لقد اتهم سقراط وتم محاكمته بتهمة ازدراء وإهانة الآلهة، فقد كانت الآلهة لها تقديس خاص فى الحضارات القديمة تستوجب القتل لمن يهينها أو ينكرها. مع ظهور الأديان السماوية وجد أيضًا الملحدين الذين أنكروا الأديان ووجود الرب الخالق. انتشر الإلحاد فى عصر العقل والانفتاح الدينى فى أوروبا بعد ظهور فلاسفة الشك فى القرن السابع عشر. انتشر الإلحاد فى أوروبا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والذى أرجعه ول ديورانت فى موسوعة "قصة الحضارة" إلى رد الفعل ضد الهيمنة الدينية فى القرون الوسطى وتعسفها مع الأفكار العلمية الحديثة والاكتشافات الفلكية والفيزيائية التى بدأت تنتشر.

أدت الحرية الفكرية فى أوروبا فى القرن السابع عشر إلى ظهور من شكوا فى الدين وأنكروه. كان رأى راعى الأبرشية الفرنسى جان مسلييه فى الدين – كما جاء فى موسوعة "قصة الحضارة": (أن الدين كان جزءًا من مؤامرة بين الكنيسة والدولة لإرهاب الناس إلى إذعان مريح للحكم المطلق. . . زعزعت الخلافات الدينية أركان الإمبراطوريات وأدت إلى الثورات ودمرت الملوك وخربت أوروبا بأسرها. . . إن الأنصار المتحمسين لدين يدعو إلى البر والإحسان والتآلف والسلام أثبتوا أنهم أشد ضراوة وقساوة من أكلة لحوم البشر أو المتوحشين، فى كل مرة يستثيرهم فيها معلموهم إلى تحطيم إخوتهم، وليس ثمة جريمة لم يرتكبها الناس فى سبيل إرضاء الرب أو تسكين ثورة غضبه. . أو إقرار خداع الدجالين لحساب كائن لا يوجد إلا فى خيالهم وحدهم. . . هل حقا أن نظرية الجنة والنار تجعل الناس على جانب أكبر من الفضيلة، وهل الأمم التى يسودها هذا الزعم تشتهر بالسلوك الحميد

والخلق القويم؟... ويكفى لنتحرر من الوهم أن نفتح أعيننا على أخلاق أشد الناس تمسكًا بالدين ونفكر فيها مليا، وسنرى طغاة متعجرفين ومغتصبين لا حصر لهم، وحكامًا لا ضمائر لهم، ودجالين وزانين وفاسقين وإباحيين فجرة، وعاهرات ولصوص، وأوغادًا من كل صنف، لم يشكوا لحظة فى وجود إله محب للانتقام، أو لم يشكوا فى عذاب الجحيم أو جنة النعيم).

لم يستطيع الملحدون استيعاب فكرة الصلاة والدعاء القادر على حل جميع المشاكل والملبى لجميع الرغبات، كتب أوليفر فى كتاب "مستقبل الفلسفة فى القرن الواحد والعشرين": (ترتبط المشكلة الكلاسيكية فى فلسفة الدين بقضية الصلاة. فالكثير من الناس يظنون أنهم حينما يصلون فإن هناك من ينصت إليهم أو ربما ينصت إليهم، وأنهم فى الحقيقة ربما يأملون فى استجابة من المنصت. وهم قد يظنون أنهم قد تلقوا استجابة بالفعل، حتى لو ظلت طبيعة هذه الاستجابة غامضة بالكامل أو مستعصية على فهم الملاحظ غير المؤمن. والمشكلة التى تواجه الكثير من فلسفة الدين هى أنه توجد صعوبة فى فهم كيف يمكن أن يكون الله حقيقة مطلعًا على صلوات المخلوقات البشرية الفردية، وكيف يمكن أن يتوقع منه أن يستجيب لهذه الصلوات... وفى الكثير من تعريفات الله أنه لا يتغير، ومن ثم فإذا كان له أن ينصت إلى الصلوات ويتعين عليه أن ينتظر المعلومات قبل أن يقرر ماذا يفعل، إذًا فهو سوف يتغير، وأنه يجب أن ينتظرنا لنقترح عليه كيف يمكن أن يتغير. وقد يقال إنه سوف يعرف منذ الأزل ما الذى سوف نسأل وكيف سيلبى، لكن توجد حينئذ مشكلات تتعلق بكيفية أن نكون نحن أحرارًا فى أن نقرر أن نصلى ونثير قضايا معينة معه... وإحدى مزايا وجهة النظر التى تأخذ بالاعتقاد أو الإيمان الدينى على أنه يتعلق بالسلوك أكثر منه تعلقه بالاعتقاد، هى أنها تجنب المرء هذه الأنواع من المشكلات فالدين إذًا هو مسألة سلوكنا بطريقة معينة، ووجود قواعد محددة لسلوكنا).

العقائد الدينية القديمة

يرجع أصل الديانات المصرية القديمة إلى أربعة آلاف عام قبل الميلاد، عندما كان الاعتناء بدفن الحيوانات تدل على عبادة المصرى القديم لها. تصف بردية آنى والمعروفة بكتاب الموتى والتى وجدت فى معبد أبيدوس، قصة الخلق من المنظور الفكرى للمصرى فى الحضارة الفرعونية: (كان الكون فضاءً أزليًا يغمره الظلام وتنعدم فيه الحركة حتى خلق الإله الأكبر "رع" نفسه بنفسه فسارت الحركة الدائمة وغمر النور الكون كله، ومن أنفاسه أنجب "شو" وتفنوت أبا الكون وأمه... وتزوج "شو" و "تفنوت" فأنجبا "نوت" ربة السماء "وجب" إله الأرض...). أثمر زواج نوت وجب أربعة أبناء وهم: إيزيس وأوزوريس وست ونفتيس، آلهة الخير والخصب والشر والبركة، وبوجودهم بدأت الحياة فى الأرض وبدأ معها الصراع البشرى عندما قتل ست إله الشر أخاه أوزوريس إله الخير، وهى قصة قابيل وهابيل وآدم وحواء كما كتب الدكتور سيد كريم فى كتابه "لغز الحضارة المصرية"، والذى استكمل فيه قصة الخلق: (كان الله حكيمًا عندما خلق بقدرته البشر قطيع الإله، صنع لهم الأرض ليعيشوا فوقها والسماء لتغطيهم وأبعد الظلمات من الكون وجعل نسمة قلبهم حياة وجودهم وكيانهم فهم صورته الخارجة من جسمه. وصعد الإله إلى الفضاء الكونى ليرعى أفلاكه بعدما وضع لهم من النبات والحيوان والطير والأسماك غذاء لهم).

يشرح كتاب الموتى سر الوجود، وفلسفة الروح والجسد برسم هرم الوجود على شكل هرم مدرج مكون من ثلاث مصاطب، العليا هى الروح "با" وتعلوها السماء "بت" وتتمثل الروح فى العقل والإيمان والضمير. تعتبر المصطبة الوسطى النفس "كا" وهى الواسطة بين الروح والجسد، وتتمثل النفس فى الحواس الخمس الظاهرة والحواس الباطنة والغرائز والانفعالات. أما المصطبة السفلى "جثا" فتمثل الجسد الذى يرتكز على

الأرض والتى خرج منها: الروح والنفس والجسد.

كان تحتمس الرابع أول من رمز للإله الواحد باسم أتون "الشمس" الذى نادى به أخناتون "أمنحتب الرابع" فيما بعد عندما تولى عرش مصر بعد أن شارك والده "أمنحتب الثالث" فى الحكم ما يقرب من ثمانى سنوات وجد الأمور مهيأة لعبادة إله الشمس "الإله الواحد" ورمز له بقرص الشمس الذى أطلق عليه اسم "أتون" بدلا من "رع" ليعبر عنه بالقوة الكامنة خلف قرص الشمس، وليس الشمس نفسها. كان شعار أخناتون عند القيام بحملته على الآلهة والمعبودات الأخرى وقيامه بتحطيم تماثيلهم ومحو أسمائهم والذى بدأ به دعوته ورسالته - كما ورد فى "لغز الحضارة المصرية": (الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، خلق السموات والأرض ولا شأن بجواره لأحد. وهو الأب وهو الأم وليس له ولد). كان الرمز الجديد الذى وضعه أخناتون هو قرص الشمس، تخرج منه أشعته متفرقة تنتشر فوق الأرض وينتهى كل شعاع من أشعته بيد بشرية، وهو ما يعبر عن اليد القوية الخارجة من منبعها السماوى وتضع أيديها فوق العالم وعلى شئون البشر الأرضية.

نسب السومريون والأكاديون - من حضارات جنوب العراق - إلى آلهتهم مشاعر وعواطف إنسانية وأسبغوا عليهم نفس طريقة الحياة وإن رفعوهم عن الجنس البشرى بأن منحوهم الخلود وآمنوا بهم كخيرين ورحماء عندما لم يكن هناك إله شرير، فالشر كانت تسببه فى العالم أرواح خبيثة ربما كانت أسمى من البشر ولكنها دون الآلهة. كان الناس يقاومون الشر ويتقون تأثيره عن طريق ممارسة السحر. جاءت الحضارة البابلية - فى جنوب العراق- بالثالوث الأعظم لمجموعة الآلهة وهم: آنو، وأنليل، وأيا. فى تلك العصور عبد السومريون أيضًا ثالوث آخر مكون من "سن" الإله القمرى، وطفليه: شماش أو شمش إله الشمس، وعشتار نجم الزهرة وإله اللذة. كان سن يقيس الزمن وهو الذى ينهى الأيام والشهور والسنين للملوك، وكان رمزه الهلال. أما شمش فكان فوق كل شىء فهو القاضى الأعظم، أملى شخصيا قوانين

العدالة على أورانجور وحمورابى. أما عشتار فمعبود ذكر فى الصباح وإلهة أنثى فى المساء.

لم يختلف الدين الأشورى - فى شمال العراق - عن الدين البابلى كثيرًا، أما العقيدة فقد طرأ عليها تعديل لتلائم حضارة قائمة على الحروب. منح الإله الأعظم آشور (يعنى العطوف) اسمه إلى أول عاصمة آشورية وإلى البلد نفسها، فكان يعبده الكثير منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد. كان أشور ملكا للآلهة جميعًا وخالقا لسماء "أنو" والأقاليم السفلية، وخالقًا للبشر جميعًا. كإله حربى كان أهل أشور يدعون أنه أخضع البشر جميعهم لنيره، وكان يمثل مسلحًا بقوس ممدود مستعدًا لرمى سهم فى وسط قرص مجنح، وكانت زوجته عشتار الأشورية والتى تسمى فى معظم الأحيان "بعليت" أى الملكة. تحتل عشتار بعد أشور أهم مكانة فى مجمع الآلهة الأشورية فيما يختص بالحملات الحربية لأنها كانت أيضًا محاربة، ويسميها أشور "ريش أيشى" أى بطلة المعارك التى لا تبقى على أحد من أعداء أشور. امتلأت قصور حضارة بين النهرين بالدعوات للآلهة، ورسوم تقديم القرابين والهدايا لهم، وكان الملك بعد عودته من كل حملة حربية يضع جانبًا من الغنائم لصيانة وترميم هياكل العبادة وملء خزانتها. حتى قبل بدأ الحرب، كان الملك القائد العسكرى يقوم بالدعاء للآلهة ملتمسًا النصر على أعدائه.

يعتنق الهندوسية - الدين الشائع فى الهند - مئات الملايين، وهو دين ليس له عقيدة محددة لأنه أسلوب فى الحياة أكثر منها عقائد، بالرغم مما تشمله الهندوسية من عقائد تهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار. كتب جفرى بارندر فى كتاب "المعتقدات الدينية لدى الشعوب" عن الهندوسية: (من الناحية الإيجابية يمكن القول إن الهندوسية هى اتباع أو عبادة الإله فشنو أو شيفا، أو الإلهة شاكتى أو تجسيداتهم، أو مظاهرهم أو أزواجهم أو ذريتهم. وهكذا يندرج ضمن الهندوسيين عدد كبير من أتباع عبادة راما وكرشنا "وهما تجسيدان لفشنو" وأتباع عبادة درجا وسكاندا وجانيشا). عبد الهنود إله الحرب

وملك الآلهة "إندرا"، فهو الذى دمر المدن الحصينة وركب السماء على رأس جيشه من آلهة العاصفة الأقل منه شأنا. أما آلهة الشمس فى الديانات الهندوسية فكانت عديدة، فكانت منها "سربيا" وتعنى هذه الكلمة الشمس، ومنها الإله "فشنو"، وإله النار "أجنبى" الذى يربط عالم البشر بعالم الآلهة. ارتفع "شيفا" إلى مكانة مرموقة بالتدريج بحيث أصبح مركزاً للعبادة، وانبثقت من الشيفية مذاهب عديدة، منهم "السيدها" أى النساك المعتزلين، ومنهم "الكابليكاس" أى حملة الجماجم الذين يحملون أوعية للتسول على هيئة جمجمة لجلب العار والخزى على أنفسهم، بالإضافة إلى الإفراط فى شرب الخمر وأكل اللحوم والممارسة الجنسية المحظورة أثناء تأدية الطقوس الدينية، لجلب مزيد من الخزى والعار، ويمكن أن يطلق على هذا المذهب الجناح المتطرف من الشيفية.

ظهر فى الهند أيضًا مذهب "السيخ Sikhism"، وهو نظام دينى علمه للناس فى إقليم البنجاب، المعلم الروحى ناناك خلال العقود المبكرة من القرن السادس عشر. آمن ناناك بوحدانية الخالق، المفارق المتعالى الذى يجب أن يرتبط به ارتباطًا وثيقًا أولئك الذين يبحثون عن الخلاص. يعبر ناناك عن فهمه للخالق بعدد من المصطلحات تشمل "الواحد الذى لا شكل له"، "الأزلى"، "ما لا يوصف". كان جواب ناناك عن سؤال: كيف للمرء أن يعرف الله؟... هو أن المرء لا يستطيع أن يعرف الله، لأن الله فى تمامه يجاوز كثيراً فهم الموجودات الفانية، فالله حاضر فى كل مكان، ويمكن للشخص اليقظ روحيا أن يراه فى كل مكان متمثلا فى مخلوقاته، أما مصير الإنسان الضال الذى لا يتوب ولا يندم هو الانفصال الدائم عن الله.

لعبت ثلاث ديانات الدور الرئيسى على مدى ثلاثة آلاف عام فى التاريخ الصينى، وهى الكونفوشية والتاوية وهما ديانتان قوميتان نبعتا من الصين، أما الديانة الثالثة فهى البوذية التى ولدت فى الهند. تم وضع البذور الدينية لكل من الكونفوشية والتاوية خلال عصر الفلسفة، من القرن السادس حتى القرن الثالث قبل الميلاد. كان كونفوشيوس - الذى يعنى المعلم كونج - فيلسوف

الصين الأول الذى ولد عام ٥٥١ ق.م هو مؤسس الكونفوشية كمذهب أخلاقى واجتماعى ممزوج بالسحر، وقوى الخير / الشر. كانت الفضيلة فى المذهب الكونفوشى ليست مضادة للرذيلة وإنما هى فضيلة باطنية ملازمة. اهتم كونفوشيوس فى حديثه عن الخير وتهذيب القوة التى تولده وتساعد على تطبيقه، انبثقت التاوية من المصطلح الفلسفى الصينى "تاو Tao" بمعنى الطريق، أو النهج، أو أسلوب الحياة أو الواحدية، أو قوة الدفع وحركة الحياة. تتمثل أفرع الفكر التاوى فى الأجزاء المختلفة من كتب شوانج تسو، وليه تسو من عصر الفلاسفة. من الواحدية التاوية يكون الموت مظهرًا للوجود، مثله مثل الحياة، أى استبدال صورة من صور الوجود بصورة أخرى، أو كما يقول شوانج تسو: "الحياة والموت شىء واحد، وكذلك الصواب والخطأ". من الفكر التاوى أيضًا أن السماء والأرض ظهرا إلى الوجود معا فأصبحت الأشياء جميعًا شيئًا واحدًا، ومن خلال هذا المنظور تكون كل الأشياء نسبية، وتتألف جميع الأضداد، وتنسجم جميع المتقابلات، والتاو بمعنى الواحد هو التلقائية الشاملة لجميع الأشياء، فكل شىء هو كذلك من ذات نفسه، ومن ثم يستطيع التاو أن يفعل كل شىء بدون أن يفعل شيئًا. كانت البوذية، كالتاوية ديانة للخلاص. يتلخص جوهر العقيدة البوذية فى حقائها الأربع الأساسية:

* الحقيقة المقدسة الأولى هى: أن الحياة شر، والوجود معاناة.
* الحقيقة المقدسة الثانية هى: أن الميلاد الجديد يعمل على إدامة الحياة. وأن الاشتياق والرغبة هما اللذان يسببان هذا الميلاد من جديد.
* الحقيقة المقدسة الثالثة هى: أن التحرر من الميلاد الجديد يمكن أن يتحقق بالتخلص من الرغبة والاشتياق.
* الحقيقة المقدسة الرابعة هى: أن ثمانى خطوات تؤدى إلى إيقاف شر الحياة، ويعتمد الطريق ذات الثمانى خطوات على الفهم السليم، والفكر السليم، والجهد الأخلاقى السليم، والانتباه السليم والتركيز السليم.

ومن ثم يوجد طريق واحد فقط للفرار من المعاناة، وهو الذى يؤدى إلى النرفانا Nirvana بمعنى الوجود المطلق غير المشروط، والذى يدوم دون أن يفضى إلى الموت أو إلى ميلاد جديد، ويأتى الخلاص عن طريق بوذا وتطبيق الشريعة Dharma البوذية.

كانت الآلهة موجودة بالفعل عندما وصل الهيلينيون بلاد اليونان، فكانوا يعبدون هيرا أى السيدة فى صورة الأم. كانت جزيرة كريت هى المركز الرئيسى للثقافة المبكرة، كما كانت للأم فيها مكانة عالية. كانت العقيدة هى عبادة الخصب حيث ارتبطت الآلهة بالقمر لما للقمر من ارتباط بالطمث وقوة النساء، كما ارتبط زوجها بالشمس. جاء الهيلينيون فى الألف الثانية قبل الميلاد وجلبوا معهم إله السماء العظيم ديوس Dyaus أو زيوس Zeus، السيد المسيطر والقائد الأعلى، وأب الآلهة والبشر. كان هناك أيضًا بعض التخصصات فى وظائف الآلهة: أفروديت تمثل قوة الحب، آرتيمس هى ربة الطبيعة البرية، أما أثينا فهى بالإضافة إلى خصائصها الحربية فهى ربة الحكمة وراعية الحرف الفنية، أما الإله أبوللو فهو مختص بالموسيقى والأدب والفكر، كما كان الإله هرمس مرشدًا للمسافرين والتجار.

يعتقد المؤرخون أن الإله العظيم الأول عند الرومان كان مارس Mars الذى أصبح فى عصور تالية يعرف كإله للحرب، كان الإله الثانى فى ثالوث الآلهة الرومانية قوة روحية غامضة، وكان يسمى كويرينوس والذى توحد مع روموليوس Romulus المؤسس الأسطورى لروما. أما ثالث الآلهة فهو جوبتير Gupiter الذى يسيطر على مجمع الآلهة ويحمل لقب "الأفضل والأعظم". كانت مهمة الدين فى روما تأمين رضا الآلهة عن طريق تقديم القرابين، وتأدية الطقوس المقدسة، وإقامة الاحتفالات فى المناسبات الدينية، التى كان يقدم فيها القرابين بأيدى الكهنة. شاركت روما الشعوب الشرقية فى تأليه حكامهم، وانتشر سحر مصر وبابل بعد أن زحف القياصرة شرقًا إلى بلاد الشام والعراق، وجنوبًا إلى مصر.

مارس زرادشت نشاطه فى بلاد فارس، خاصة فى الشمال الشرقى من البلاد. كان الإله عند زرادشت هو السيد المهيمن الحكيم، أهورا مزدا خالق السموات والأرض وهو الأول والآخر. تمثل تاريخ العالم فى الديانة الفارسية القديمة بالصراع بين الرب والشياطين. كتب جفرى بارندر فى كتاب "المعتقدات الدينية لدى الشعوب" عن تاريخ هذا الصراع طبقًا لديانة بلاد فارس: (ينقسم هذا التاريخ إلى أربع فترات تمتد كل منها ثلاثة آلاف سنة. فى الفترتين الأولى والثانية كان الله والشيطان يجهزان قوتهما. أما فى الفترة الثالثة فقد اشتبكا فى الصراع. وفى الفترة الأخيرة سوف ينهزم الشيطان فى النهاية... إن العالم ينتمى إلى الله نفسه، ولذلك فإن الزرادشتين، على خلاف أتباع بعض الديانات الأخرى، لا يعتقدون أن المادة شر. والواقع أن الشيطان، لا الكائنات البشرية، هو الذى يوجد فى عالم مادى غريب، وهو لا يستطيع أن يتخذ شكلا ماديا وإنما يبقى فى العالم متطفلا محاولا عبثًا تدمير أعمال الله).

السحر والخرافة

كان الخوف، هو الطريق السهل لظهور فكرة الآلهة فى عقول البشر قبل نزول الأديان السماوية. أرجع الإنسان الأول جميع الظواهر غير الطبيعية بالنسبة له مثل الموت، خسوف الشمس، الرعد، البرق، البراكين... إلى قوى خفية تحاول النيل منه. من هذا المنطلق نبع الدين، وتعددت الآلهة، من إله خير يساعد الإنسان ويعاونه، ويأمر بسطوع الشمس مرة ثانية، ويساعد فى الشفاء من الأمراض، وإله شرير يسبب المرض والدمار والموت والأذى للإنسان. حتى إن مخيلة الإنسان منذ عدة آلاف من السنوات قد توصلت إلى صراع عنيف بين قوى الشر وقوى الخير، تنتصر قوى الخير تارة، وتفوز قوى الشر تارة أخرى. لم يكن يعرف الإنسان القديم الجراثيم أو الميكروبات، كان يرى فقط الظاهر لنظره. كانت البويضة داخل المرأة والحيوان المنوى داخل

الرجل مجاهيل لا تعنى له شيئًا، لذا كانت عملية الحمل وتكوين الجنين فى رحم أمه ثم عملية الولادة من الظواهر الإلهية التى نظر إليها الإنسان بتقديس. لا عجب أن يضفى إنسان الحضارات القديمة فى مصر الفرعونية، وفى الهند وفى سومر وفى بابل وأشور، وفى الحضارتين اليونانية والرومانية، على الجنس كل الإجلال والتقديس. لقد عبد الفرعونى الكوبرا رمز الجنس، وكان الفيل فى الحضارة الهندية رمز القوى النابعة من الجنس. بدع الإنسان الطوطم على شكل الحيوان ليعبده ويستجدى منه العون والمساعدة أمام قوى الشر والخراب، ومن أجل زيادة الخصوبة.

لم تعد القوى البدنية والأسلحة البدائية تكفى جدودنا القدامى وهم يصارعون قوى أشد أو عدوا طاغيا، فبدؤا يتخيلون ويتوهمون - حتى صدقوا - أنه توجد قوى أخرى خفية تتمثل فى الآلهة أو فى الأبطال غير العاديين الذين يستمدون جبروتهم من السماوات المجهولة لهم. من هنا ظهرت أساطير جلجامش فى الحضارة البابلية، ورستم فى الحضارة الفارسية، وهرقل فى حضارة الإغريق. من صراع الآلهة نبعت الأسطورة التى كانت غالبًا ما تمزج الجنس مع الصراع. كانت الأسطورة تشكل ثقافة الإنسان القديم، وتمثل له علمه وعقيدته، من خلالها قام بتحليل وجود الظواهر الطبيعية وغير الطبيعية بالنسبة له، والتى تؤثر فيها سلبًا أو إيجابًا، شرًا أو خيرًا. لقد كانت جميع الظواهر نابعة من قوى خافية - بالنسبة له - احتار فى الوصول إليها. استغل بعض الخبثاء الكثير من عامة الناس ليوهموهم بأنهم وكلاء لهذه القوى، أو مندوبين للآلهة فى الأرض، ومن هنا ظهرت الكهانة، والسحر الذى تمكن من حكام الحضارات الأولى بعد أن سيطرت على عقول عامة البشر.

فى لحظات ضعف الإنسان، وامتزاج الأساطير بالجهل قد يلجأ إلى الغيبيات، والإيمان بالسحر معتقدًا بقواه الخارقة، فيتحول الإنسان إلى عاجز لا إرادة له. الملائكة كما ورد فى كتاب "الكائنات غير المنظورة" هى: (أجسام لطيفة نورانية، تتشكل بأشكال مختلفة، وهم مخلوقات غائبة عنا،

لا نراهم فى الأحوال العادية، قادرون على التشكل بأشكال جسمانية مختلفة ومرئية بالعين المجردة، ولهم قدرة خارقة). والجان كما ورد فى المرجع نفسه: (مخلوقات مجردة من المادة تمثل عالما بذاته، يختلف عن عالم الإنس.. إن الجن مخلوقات مريدة، منهم المؤمنون ومنهم الفاسقون، وأن لهم قدرة على التشكل، وأنهم يثابون ويعاقبون... للجن قدرة على التشكل بأشكال الإنسان والحيوان، فهم يتصورون بصور الإنس، والبهائم، والحيات، والعقارب، والإبل، والبقر، والغنم.... إلخ). أما كلمة شيطان فقد جاءت فى اللغة المسمارية فى ثقافة بين النهرين (البابلية والسومرية، والأشورية) باسم Satan إله الشر، وفى اللغة العبرية أصلها Shatan ومعناها المقاوم للرب الإله. ثم وصلت الكلمة فى العقائد السماوية (شيطان) كرمز للشر، وغواية إنسان بفعل الفحشاء، وقرين للسوء، وضال للإنسان،، وهو الوسواس الخناس الذى يوقع العداوة والبغضاء بين الناس.

مارس الإنسان السحر حتى فى عصور ما قبل التاريخ المكتوب، فقد وجدت حفريات مصرية قديمة فى عهد ما قبل الأسرات الفرعونية، تحتوى على أشكال لآلهة تحمل صوراً لحيوانات فى أوضاع خاصة قد تعنى الحصول على صيد وفير بأقل مجهود وأقل خسائر، وصوراً أو أشكالاً تمثل الجنسين فى أوضاع جنسية استخدمها الإنسان القديم كقرابين للحصول على القوة الجنسية وزيادة الإخصاب، وكثرة النسل. لقد آمن الإنسان القديم بالسحر بهدف الحصول على ما يحتاج إليه، وحمايته مما يخشاه من حيوانات ضارية وأرواح الموتى. كان للسحر احترام خاص، وكان الإيمان بالقوى الخارقة للطبيعة والإنسان أمراً لا يقبل الشك والجدال، واستغل بعض الناس من أصحاب الذكاء المتميز وجهل عامة البشر فى السيطرة عليهم، وظهرت طبقة السحرة، والكهان لتحكم وتبتز حتى إن سيطرتهم قد امتدت فى كثير من الأحيان على ملوك الزمان الغابر. تفتق ذهن السحرة والكهنة على القيام بطقوس سحرية، وتحضير تعاويذ تحمى من الأرواح الشريرة، وتقى الإنسان من مصائب الزمان.

من خلال الطقوس الدينية، والتفوه بكلمات مضغمة وغير مفهومة ولها رنين وقوة، أو إيقاع خاص يدعو إلى الانفعال وإثارة غرائز كامنة، تفتق ذهن السحرة والكهان أيضًا إلى ما أسموه أسماء القوة Names of Power. شرح الدكتور عبد الرحمن صلاح فى كتاب "العلم والسحرة" مصدر ووظيفة أسماء القوة: (تقوم فلسفة الكلمات السحرية أو أسماء القوة على أن استجلاب القوى الشريرة أو القوى السحرية لا يتأتى إلا باستدعاء بالاسم اللازم لها، وأن لكل شىء فى الكون اسمًا، سواء أكان شيطانًا، أو ملاكًا... ويقولون إن الإنسان له وضع متوسط بين الاثنين، وإن لكل إنسان قرينًا من الملائكة، وقرينًا من الشياطين، فإذا عرف الساحر كيف يمكنه السيطرة على الناحيتين أصبح أقوى منهما، وهو لذلك يستعمل كلمات تحمل أسماء الملائكة، أو الشياطين وبعضها فى كتابات مربعة، تحمل أحرفا مكتوبة بالطول والعرض بشكل محدود تؤدى الغرض منها - وهو ما يمكن أن نسميه مجازا بالأحجبة.. هناك كلمات يمكن تتبع أصولها مثل أسماء بعض الآلهة الوثنية، وهناك كلمات أخرى مصدرها من الكتب السماوية، وخاصة التوراة. فقد تحتوى الأسماء على مسميات قديمة للآلهة الكنعانية، مثل الإله بعل، أو شاموس، أو الآلهة الأشورية والبابلية مثل: أزموديوس، وشماس.... وهكذا. ولكن الكلمات الأكثر استعمالات أصلها عبرى وردت فى التوراة بالعبرية، ثم حرفت للغة التى يستعملها الساحر).

كتب عالم الآثار الدكتور سيد كريم فى كتابه "لغز الحضارة المصرية" عن ارتباط الدين بالسحر فى حضارات ما قبل نزول الأديان السماوية: (السحر القديم قدم الإنسانية نفسها، وأقدم من الحضارة التى انبثقت عنها... عرفه الإنسان عندما أحس بوجوده، عرفه بإحساسه عندما نظر إلى الطبيعة حوله فوجد نفسه محوطًا بقوى خافية خارجة عن نطاق فهمه وبعيدة عن مدى إدراكه. لم يكن فى استطاعته مقاومتها بما فى متناول يده من وسائل وإمكانات. حاول أن يستميل تلك القوى بالتضرع تارة وبالحيلة والفنون تارة

أخرى، فالعقيدة والسحر وليدا هذا المجهود الإنسانى المزدوج، وليدا ضرورة واحدة، فكان من الطبيعى أن يتقابل الدين والسحر فى أكثر من جانب من جوانب المجتمع، لذا فقد تركز السحر فى المعابد واعتبر علمًا من علوم الكهنوت الذى تخصص فيه الكهنة وحدهم، كما أن الكثير من الطقوس الدينية ارتبطت بالسحر وتعاليمه، وتداخل السحر والدين معًا فى كتب الموتى والمتون الدينية وعلاقة الآلهة القديمة بالبشر... ارتبط السحر منذ نشأته بأساطير الخلق - خلق الحياة والوجود، والعوامل المكونة لهما، والقوى المحركة والمسيطرة عليهما. وقد نسب قدماء المصريين السحر ونزوله على الأرض إلى الإله تحوت إله العلم والمعرفة وحامل العلامات الإلهية والمعبود القمرى هرموبوليس، أول من أنزل كتب السحر المقدسة ووضع طلاسمه).

كان للسحر مكانة خاصة فى الدولة المصرية القديمة قبل عصور الأسر الفرعونية، وخلال الأسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة. تقلد السحرة المتميزين أعلى مناصب الدولة من مستشارين لفرعون إلى أعضاء فى مجلس الحكماء. لم يقتصر السحر فى مصر الفرعونية على الرجال فقط، بل كان لبعض النساء معرفة بالسحر، وحمل بعضهم لقب عرافة المعبد. لقد سيطرت عقيدة السحر على المصريين القدماء كسيطرة العقائد الدينية نفسها، فكانوا يستعينون به فى شئونهم الدينية والدنيوية، كان من معتقدات السحر عند قدماء المصريين أن لكل آدمى قرينًا من الجن يلازمه فى الحياة ويتبعه فى الموت، ويسمى باللغة المصرية القديمة "كا" وكان يرمز له بذراعين مرفوعين، فالدنيا وفقًا لعقيدتهم مملوءة بقوى الأرواح المؤثرة، ويجب على الإنسان اتقاء شر الأرواح الشريرة. لم تندثر فكرة القرين والأرواح الشريرة من ثقافة المصرى الحديث، فكثيرًا من المصريين ما زالوا يؤمنون بفكرة القرين، وبقوة الحسد.

كتب الدكتور سيد كريم فى المرجع السابق عن تداول وانتشار القصص الأدبية المرتبطة بالسحر خاصة فى عهد الدولة الحديثة فى الأسرة الثامنة عشرة

(١٥٧٠ - ١٣٠٠ق. م) ومن أشهرها قصص سحر الاستخارة التى كان يقوم بها الملوك والقواد قبل خروجهم للحرب، ومنها قصة "كامس" الذى خرج لقتال الهكسوس بناء على أمر آمون ذى الرأى السديد والذى جاء له فى المنام. أيضًا ما ذكرته الملكة حتشبسوت من أنها أرسلت بعثتها إلى بلاد بونت (شرق إفريقيا) بوحى من آمون. كان تحتمس الثالث يقوم باستخارة الإله آمون ليحدد له ميعاد غزواته وينبئه بما سيحققه من انتصارات.

كانت التمائم والأحجبة هى العنصر المادى فى فاعلية قوى السحر، أو الواسطة التى تنقل مفعول السحر إلى الإنسان لحمايته فى حياته الدنيوية وفى رحلته فى العالم الآخر. كان قدماء المصريين يحملون هذه التمائم وهم أحياء ويضعونها على أجساد الموتى اعتقادًا منهم بأن لها من القوى السحرية ما يدفع عنهم الأرواح الشريرة. كانت التمائم توضع أيضًا فوق أعتاب المنازل، وتحت عتبات الأبواب، وفى داخل حجرات البيت. كانوا يضعونها فى أماكن نومهم، وتحت الوسائد، وفى أماكن ممارسة أعمالهم اليومية. كانت صناعة التمائم من الصناعات الرائجة فى مصر القديمة، وكان لكل لون دوره السحرى المؤثر، فاللون الأخضر لتمائم الصحة والشباب، والأزرق لمنع الحسد وطرد الأرواح الشريرة، لذا كان الكف الحارس (الخمسة وخميسة)، وأوزات (العين المقدسة) تصنع من الحجر الأزرق اللامع أو حجر الفيروز.

كان المصريون القدماء يعتقدون أن كل داء من أعمال الأرواح الشريرة التى تسلط بقواها الخبيثة على الأجسام فتصيبها بالأمراض، وعندما تواجه هذه القوى الخبيثة بقوى السحر الأقوى فإنها تنهزم وتخرج من البدن فيشفى المريض. لذا كان السحر من العلوم التى تدرس فى المدارس وفى المعابد بجانب الطب والكهنوت. كشفت حفريات الدولتين القديمة والوسطى بصفة خاصة عن الكثير من برديات السحر المرتبطة بالحب، فقد كان قدماء المصريين يعتقدون بأن الحب قوة خفية متقلبة لا يمكن السيطرة عليها. احتوت البرديات على الكثير من الوصفات والصيغ السحرية التى وضعت فى خدمة إله الحب،

والتى نسبت إلى إله المعرفة والسحر ناحوتى، وإلى إله الحب والجمال حتحور، وقد ذكر فى هذه البرديات أن مجرد تلاوة صيغة معينة وممارسة ما يرتبط بها من طقوس وتعاويذ، كان كافيًا لأن تقع المرأة فى حب من يتلو هذه الصيغة. لقد اتسمت الحضارة المصرية القديمة بسيطرة الدين، والسحر، والمعتقدات على جميع مقومات حياة المجتمع، وظهر جليًا دور السحر فى الأدب والفن المصرى القديم، وفى ممارسته لعلوم الطب والفلك والتنجيم والكيمياء والرياضيات وعلى علوم البناء والعمارة.

تسائل ول ديورانت عن ارتباط الجهل والإيمان بالخرافات، بالقدرة العقلية والفقر فى موسوعته "قصة الحضارة": (هل الناس فقراء لأنهم جهلاء، أم جهلاء لأنهم فقراء؟... تلك مسألة انقسم عليها الفلاسفة السياسيون إلى محافظين يؤكدون عامل الوراثة - التفاوت الفطرى الموروث فى القدرة العقلية - ومصلحين يعتمدون على البيئة وأهمية التعليم وإتاحة الفرصة. وبازدياد الثروة وتوزيعها ينمو العلم ويتقلص ظل الخرافة. ومع ذلك فإنه حتى فى البلد المزدهر ازدهارًا كبيرًا وبخاصة بين الفقراء المنهوكين والأثرياء الخاملين نجد أن الفكر يعيش فى متاهة من الخرافات: علم التنجيم، دراسة المعانى السحرية أو التنجيمية للأعداد، قراءة الكف، الحسد، السحرة، الغيلان، الأشباح، العفاريت، التعزيم لاستحضار الجن، التعاويذ والرقى، تفسير الأحلام، الكرامات والمعجزات، الشعوذة والدجل، الخصائص الخفية الشافية أو المؤذية للجماد والنباتات والحيوانات. فلنتدبر إذًا الجو الخانق الذى يسمم جذور العلم بثماره، فى شعب ذى ثروة ضئيلة أو مركزة فى أيدى فئة قليلة. إن الخرافة لدى ضعاف الأجسام والعقول عنصر ثمين فى قصيدة الحياة، تضىء أيامهم الكئيبة بالأعاجيب المثيرة، وتخفف من بؤسهم بالقوى السحرية والأمانى الخفية.... قد تولد الديانات وقد تفنى، ولكن الخرافة باقية أبد الدهر. وسعداء الحظ هم الذين يحتملون العيش بدون أساطير، والكثير منا يعانى فى جسمه وفى أعماق نفسه، وأفضل عقار مسكن فى الطبيعة جرعة مما هو فوق الطبيعة).

الطوطميـة

الطوطمية Totemism عقيدة تقسم الجنس البشرى والطبيعة إلى طبقات وأنواع، أو طوائف، أو منازل مختلفة. تربط الطوطمية ثقافة مجتمع ما مع شىء خاص به قد يأخذ شكل التماثيل الحجرية أو الأقنعة الخشبية، لتشكيل وضع معين، أو وصف تعبير معين، لحيوان أو نبات أو بشر. جاءت الكلمة فى اللغة الإنجليزية من قبيلة فى أمريكا الشمالية - الهنود الحمر - قبل اكتشاف الأوروبين لها. تعتبر الأوثان والتماثيل التى كانت تعبد فى الحضارات القديمة شكل من أشكال الطوطمية.

يعتبر الطوطم شىء مقدس نابع من العشيرة أو القبيلة، له كل التقديس والتبجيل والعبادة، وقد يحمل الطوطم اسم القبيلة أو تطلق عليه القبيلة اسم خاص به. فى الغالب ما تدور أساطير عديدة عن أصل الطوطم وقدراته الخارقـة. إذا أخـذ الطوطـم شكـل حيـوان، فيعتبر هـذا الحيـوان مقـدس، لا يستطيع أحد فى القبيلة إيذاءه، ولكنه قد يذبح ويتناول لحمه أعضاء القبيلة من خلال طقوس دينية. يتوارث الأبناء عضويتهم الانتمائية للطوطم الذى يعبدونه، ويعتبر جميع الأعضاء إخوة فى الدم لانتمائهم إلى الأصل الواحد، وهو الطوطم. تعتقد بعض القبائل الطوطمية فى وجوب الزواج من الغرباء Exogamous وذلك لعدم الجواز لأفراد القبيلة التابعين لطوطم واحد أن يتزاوجوا، وكذلك لنشر الانتماء للطوطم الذى يعبدونه.

أدخل عالم النفس النمساوى سيجموند فرويد تعبير الطوطم فى علم النفس، وأرجع إلى النظام الطوطمى امتناع الاتصال الجنسى بين من تحرم الأديان الزواج بينهم من ذوى القربى Incest. استخدم فرويد أيضًا كلمة تابو Tabu / Taboo بمعنى المحرم / المقدس / النجس / الملعون / المحرم، وذلك للدلالة على تحريم غشيان المحارم.

تناسخ الأرواح

هى عقيدة من عقائد الديانة الهندوسية العديدة، يطلق عليها البعض مصطلح "تجوال الروح" أو "تكرار المولد"، والتناسخ هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضى فى جسم آخر. وسبب التناسخ هو: إما أن الروح خرجت من الجسم ولا تزال لديها شهوات مرتبطة بالعالم المادى، أو أن الروح قد خرجت من الجسم وعليها ديون فى علاقتها بالآخرين لا بد من أدائها.

كتب الدكتور أحمد شوقى عن تناسخ الأرواح فى كتاب "أديان الهند الكبرى": (الميل يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم الفعل فى هذا الجسد، وإن لم يصلح هذا ففى جسد غيره، فقد خلقت الميول لتستوفى، وإذا لم تستوف لم ينج الإنسان من تكرار المولد، وإذا اكتملت الميول ولم يبق للإنسان شهوة ما، وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثما ولم يقم بحسنة تستوجب الثواب، نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد.. فجسد الإنسان المادى هو الذى يولد من جسدى الوالدين، وأما الذى يحركه ويسيطر عليه فجسد لطيف يتركب من القوى الأساسية والحواس والقوى الآلية المحركة، والعقل. فإذا حدث الموت، مات الجسد المادى وتوقف وبلى، أما الجسد اللطيف فلا يموت بل يخرج ويعمل مدة من الزمن فى آفاق الكون اللطيفة التى تشبه حالة أحلامنا، فيجرب هناك الجنة والنار التى تكلمت عنها الكتب الدينية، ثم يعود - مسوقًا بالميول والأعمال الماضية - إلى الحياة متقمصًا جسدًا جديدًا، وتبدأ بذلك دورة جديدة لهذه الروح، وتكون هذه الدورة نتيجة للدورة الماضية، ويسعد أو يشقى نتيجة لما قدم من عمل فى حياته السابقة... إن الروح فى عالمها الجديد لا تذكر شيئًا عن عالمها السابق، فكل دورة منقطعة تمامًا بالنسبة للروح عن سواها من الدورات).